

الاشتراكية الخادوم في الفن والادب

بقلم المهندس خليفة

واسعة . وعندما ننظر اليه
من الوجهة الأدبية يجب
- ووفقاً لطبيعة البحث -
أن نخصّ من الافراد
فريق الأدباء والفنانين

والمفكرين ... ثم المركز الرئيسي الذي ينبعث منه تأثر
هؤلاء ليؤثروا - بدورهم - فيه هو بالذات .

وليس تعين هذا المجال بعسير اذا سلمنا بأن علينا أن نؤدي
اكثر خدمة ممكنة للمجتمع - كل في ناحيته الخاصة . إن الامة
العربية كلها ما زالت تعاني كثيراً من المقاومة الاجنبية ومن هذه
الامتدادات الاقتصادية والثقافية والسياسية الخ ... الناتجة من
جرائم المقاومة ، وفي المغرب العربي حيث تشدد وطأة المستعمر
المتمثلة في العمل على محو شخصيتنا القومية وتشويه تاريخنا ، وحيث
يعاني الشعب من البؤس والمهانة والجهل والفقر والمرض توتراً
حاداً عنيفاً .

لقد آن ان ننظر الى مختلف اقطار العروبة لا كوحدات
مفككة ، ولكن ككل متكامل ؛ ونظرة كهذه تؤيدها
المصلحة المشتركة كما تؤيدها الاصول الطبيعية والتاريخية ...
يجب أن يعي الشامي والمصري والعراقي أن الجزائري او التونسي
او المراكشي عربي قبل أن يكون (مغربياً) .

هذا المجتمع الواسع المتعذب ، هذه الالوف التي تشرّد ،
وتهاجر وتموت جوعاً وبرداً ومرضاً ، ثم هذه الروح التي لم تستكن
وإنما ظلت طامحة ، مؤمنة بكفاحها ... إن كل ذلك جدير
بان يعين المنبع الغزير الذي يجب ان يغرس فيه قلم الاديب
وريشة الرسام وآلة الموسيقى ... ان في ارهاف الحواس
اليه لأهلاً ما نافعاً ناضجاً ، انه أسمى من ذلك الذي ينشدونه في
« لون الاصيل ... »

من العجيب حقاً ان يوجد أدباء (كبار) لا يبدون
فيما يكتبون تكيّفاً ملائماً لروح مجتمعهم الذي يحيونه ،
وينصرفون بدل ذلك الى التنقيب عن قصور ضامرة لاتستحق
بذل الجهل . لقد نسوا التطورات التاريخية واهميتها في تقييم
الاشياء ..

انهم يعدون انفسهم أدباء ، مع أن وضعيتنا الاجتماعية قد
فرضت علينا الانقاع ، بل ألزمتنا الا نعتبر أدباً ذلك الذي
لا يساهم في خدمتها ، فليقتنعوا حينئذ بانهم مؤرخون كلاسيكيون

يرى دور كهائم « أن
أفكار الانسان ليست ثمرة
نشاطه العقلي فحسب ، بل
ثمرة البيئة الاجتماعية التي
يكون جزءاً منها ايضاً ،

وان ثمة شيئاً يمكن ان يدعى (عقل الجماعة) وهو أكثر من
مجرد مزيج مؤلف من عقول أفراد الجماعة ذاتها (١)

ومهما يكن من حاجة هذا الرأي إلى الادلة الواقعية ، فان
فيه جانباً من الصحة لا ينكره الناقدون للمذهب الاجتماعي .
فقد جاءت علوم التاريخ والانتروبولوجيا والاجتماع مؤكدة
لاهمية البيئة في تكوين سلوكنا وتفكيرنا واصطباغها بصبغة
ملائمة لديناميات المجتمع الذي نحياه ، فليس من الغريب أن
يتكلم الناقدون عن علاقة فلسفة كالبراجماتزم مثلاً بالزوح العملية
يتصف بها المجتمع الامريكي ثم يبدوا استعدادهم للاستغراب
من ظهور فلسفة (ميتافيزيقية) في تلك البقاع ...

وواضح ان هذا لا يعني ان موقف الفرد من بيئته ليس إلا
موقف التلقي والقابلية السلبية ، فهناك ساسة ومصالحون ورجال
دين ومنظمات ... بل وحتى افراد عاديون قد ساهموا في مصير
مجتمعهم بطريقة عملية . ولقد حظ التاريخ لامثال هؤلاء نماذج
لن نتسكن من إحصائها بسرعة ..

وقد يبدو ان طبقة ممتازة من « رجال التاريخ » لا تعمل
باجابية فحسب ، بل هي ايضاً تقود المجتمع . والواقع
أن هذا التخصيص لا يخلو من الخطأ ، فحقيقة الأمر أن التأثير
متبادل بينهما شأن أي عمل تعاوني متكامل . ولكن بما لاشك
فيه أن تحسين حالة الفرد مادياً ومعنوياً يؤدي في الوقت نفسه
إلى تحسين حالة المجتمع ذاته ... ومن ثم فيجب الانهمل
احدهما ، والسواد في سبيل التفريغ للمبتازين ، واعتبار كهذا
قد يؤدي الى تحويل وضعية أدبنا وفننا إلى اعماق هذا السواد
المضطرب ...

إننا لا نكون متجاوزين حين نعبر عن الفرد بالعضو ، بل
الواقع أنه استناد الى طبيعة علاقته : إننا حينئذ ننظر اليه
باعتبار أن له وظيفة ما داخل هذا الجهاز الذي ندعوه بالمجتمع .
ويمكن ملاحظة ذلك التأثير المتبادل بين الافراد في مجالات

(١) علم النفس الحديث ، تأليف الدكتور سرجنت ، تعريب منير
البلبكي ، ص ١٣

او اي شيء من هذا القبيل ما عدا الادب .
 ان التثبث بالماضي لذاته - وان لم يشعروا بانه كذلك -
 عدم تكيف مع الحياة ، وبالمثل عندما تغرينا فكرة الرجل
 السابق لعصره فيضع أحدنا خطة لغزو تقوم به بعد التحرر ! .
 حقا ان هناك جذوراً وامتدادات لا يمكن اغفالها ، ولكن
 يجب الا نجاوزها .

قد يقال ان تقييد الاديب والفنان بالخدمة الاجتماعية تقييد
 لحريته ، وهذا صحيح مبدئياً ، ولكنه لا يعني ابدأ الانتقاص
 الذي يقصدون . الا اذا قلنا ان اي نشاط للمرء انما هو سداد
 وصلاحية ! وبداية ان سلوكنا جسيماً كان او شعورياً لا يخلو
 في جملته من الخطأ والتعسف والفساد على اية قيمة من القيم ، وكما
 نيل عادة الى الراحة وتحقيق شهواتنا وغرائزنا البدائية فقد
 نيل كذلك الى قراءة او انتاج القصص الغرامية وقصائد المغازلة
 الجنسية والى ادب « خريز الجداول » « واطباق الغيوم » .
 ولكن مما لا شك فيه ان انظمة المجتمع لا تسمح لنا بتحقيق
 تلك الميول الفجة ، المنافية لمبادئه واخلاقه ، ومثل ذلك الاديب
 الذي يضيع الوقت والورق والمجهود في مواضيع عقيمة تافهة ،
 انه يجب عليه ان يكتبها عن القراء ما دامت في حالتها البدائية
 بالنسبة الى الادب الخادم للمجتمع ، وهذه الحالة بدائية لا يجازأ
 بل حقيقة ، ذلك ان الاحساس بالجمال انما يبتدىء في مراحل
 الاولية بالتأثر بالاشياء الطبيعية ، وانه لموجود حتى في اكثر
 القبائل اغراقاً في البدائية « مثلما هو موجود في اكثر الناس
 تمدنا ... بل انه يبقى حتى عندما ينظفي نور العقل ، لان
 الابله والمجنون قادران على الانتاج الفني (الطبيعي) ، فخلق
 الاشكال او سلسلة من الاصوات التي تستطيع ايقاظ
 الاحساس بالجمال ، ضرورة اولية بطبيعتنا . فطالما تأمل الانسان
 بسرور الحيوانات والزهور والاشجار والسماء والمحيط
 والجبال (١) .

ان هذه النزعة الاجتماعية لا تكفي كمبرر لانصراف الاديب
 عن خدمة المجتمع ، وفضلاً عن ذلك فانها لم تجعل من الادب
 اكثر من لعب الورق او مشاهدة حفلة او اي شيء آخر
 يهب الراحة والسلى .

وغني عن البيان أن الادب الملتزم لا يقنع بهذه الخدمة
 التافهة مادام وسيلة مباشرة او قريبة الى تقدم المجتمع في
 جميع اوضاعه الاقتصادية والسياسية والثقافية ...

ومن المعلوم أن اعتباراً كهذا لا يعني البتة تجريد الادب
 من قيمته الذاتية ، أي المتعة ، ولكنه يعني التوسل بهذا التأثير
 الايجابي إلى الاقبال على نفسية المجتمع ومعايشته .

ذلك أن الامتاع في الفن والادب عنصر جوهري ، وهو
 الذي يميزهما عن سائر ضروب النشاط الفكري الاخرى ، ومن
 هنا يظهر خطأ القائلين بوجوب تجريد الفن من أية غاية غير ذاته ،
 بحجة المحافظة على (سموه) ؛ إذ أن مثل هذا الرأي يشير ضمناً
 إلى أن الفن الملتزم خلو من الامتاع مادام يستمد مادته
 من حاجات المجتمع ، فكأنما الامتاع مقصور على مواضيع
 معينة لا على قدرة الخلق والابداع !

إن الكاتب القدير ليستطيع أن يخلق من ملاحظة المشردين
 والمرضى والفقراء ، ومن تلك الجثث التي استشهدت في سبيل

وعلى العكس من ذلك الاحساس بجمال المثل والقيم
 الانسانية ، اذ انه يحتاج الى نضج نفسي وحضاري ، والى مرحلة
 من الاعداد الطويل : وهذا ما يفترق إليه منتجو (الفن للفن)
 اجمالاً ، اذا ان انتاجهم انما يعبر عن حقيقة واحدة هي العجز
 عن الاحساس الجمالي بمعالجة اوضاع المجتمع ، ومن ثم
 الهروب من مشاكل الحياة ، وان وجدت - نظرية الفن للفن -

(١) الانسان ، ذلك المجهول ، تأليف الكسيس كاريل تعريب
 شفيق اسعد فريد صفحة ١٦١

الفرقة الفدائية الاولى

[في الوطن العربي معاقلة كثيرة للاستعمار ، وآلاف
الغدائين يستعدون لك الحصون على رؤوس اصحابها]

« لا تقربوا ...
الموت هنا لا تقربوا ! »
... وضجيج الآلات سيات تشد على الأذن ،
وحزير الاحذية السوداء تحظ الظلم بلا وهن ،
« لا تقربوا »
ودخان المعمل الروان من ذلتنا
يسري عبر النخل الحاني في قريتنا ،
وجوع العمال الحيري من أخوتنا
سوط .. انفاس تضطرب
« لا تقربوا »
المعقل مضمون للمستعمر باسم الوطن !!
رغم الحاقدرغم الزمن ،
للعين الزرقاء حقوق لا تغتصب
سنظل هنا ..
وليتهف اصنام الوطن :
« عاش الذهب » ،
وتهامس شبان القرية في ظل الأنفاس الحري
وتعلقت الأبصار على الأملاك تناجي السرا !
« الارض لمن ... الارض لمن
اسلاء الاجداد الابطال زرعاها
ومن الدم والدمع المسعور سقيناها
الارض لمن ... الارض لمن

عصام عبد علي

الخالص - العراق

النظر عن قيمتها ، قد تكون سياسة ، او وعظاً ، او فلسفة ... الخ
الا أنها لن تكون من الأدب في شيء بمعناه المحدود الشائع ،
وقد لا يوفق كل أديب الى تحقيق (الامتاع الخادم) فيما يكتب
فينتج فناً ركيكاً جافاً اشبه شيء بمررد الحوادث ومحاضر
البوليس . قد يوجد هذا النوع الا انه لن يدل على أكثر من
التقصير او القصور .

وبعد فان « الامتاع الخادم » ليس الا مذهب الالتزام في
الفن والأدب منظوراً اليهما من الناحيتين الذاتية والوظيفية
متكاملتين ، ومن ثم فهو أبعد من ان يكون مجرد توفيق
بين نظريتين مختلفتين .

الجندي خليفة

تونس

(من رابطة القلم الجديد)

الكرامة والفتاء اروع امتاع في الى جانب الخدمة العامة ،
وإن كان لا بد من الاستشهاد بالتاريخ فان لحة عابرة الى منتحي
(الفن للحياة) من امثال فولتير وروسو ، وتولستوي لتكفيها
جهد الاستقصاء ؛ ان احداً لا يشك في القيمة الادبية لآثار مثل
هؤلاء ، كما لا يشك في ذلك الانقلاب العظيم الذي أدت اليه
آثارهم تلك .

* *

نستخلص من هذا كله أن تحقق الامتاع وحده في الفن لا
يكفي ، إذ أنه بمثابة الاطار العام الذي يكسبه حدوده الذاتية ،
بل يبقى بعد تحقيقه اعتبار الخدمة الاجتماعية كوظيفة تطويرية
له ، لا يمكن الاستغناء عن عملها ، كما لا يمكن الاستغناء عن
أعضائها الضرورية ، إلا إذا ابدينا استعدادنا للرضا بالشلل
والكساح .. ، وبالمثل فان الخدمة الحالية من الامتاع بقطع